

محقق مغربي متقاعد يدخل البيوت ويثير الجدل بقصصه

عبدالقادر الخراز

يحطم الأرقام القياسية بنسب مشاهدة الجرائم



● أسلوبه القريب إلى وعي الإنسان البسيط يحقق الخراز بواسطته نجاحا كبيرا، ومع ذلك يعلق البعض مشككا بأن القصص التي يرويها، بعد تجربة أربعين عاما في سلك الأمن، لا علاقة لها بالواقع.



● الخراز متابع جيد لخيوط الجريمة بمعناها الجنائي، ودوافع المجرم النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان له رأيه الدقيق وتحليله العلمي الشامل في جريمة مروعة وقعت مؤخرا واهتمت بسببها وجدان المجتمع المغربي.

البرنامج ساهم بشكل مباشر في التوعية باختار النصب والاحتيال ومحاربة الجرائم وطرق النصب من خلال فضح أساليب النصب المسماة "السمماوي والكنز"، كما فضح بعض أساليب وطرق زرع الإرهاب عندما تطرق البرنامج إلى العنف الديني.

الهدف الأسمى للخراز هو تحقيق الانسجام مع دولة الحق والقانون من خلال توعية المشاهد وإشعاره بضرورة الالتزام بالقانون وعدم الاعتداء على حرية وممتلكات وحياة الغير، وعدم الإساءة بالجرم أو المجرم الذي يصيره السجن نظيرا ما اقترفه من جرائم ضد المجتمع.

وعند حديثه عن طريقة تحقيقه مع المجرم كي يستخلص منه المعلومات وظروف ارتكابه الجرم، يركز في كل حلقات البرنامج مفردة بالدارجة المغربية "زيرناه" أي حاصرناه وشدنا عليه الخناق كي يقر بالذنب، بقدر ما تكررت المفردة وأصبحت لازمة للتندر عند المتابعين له، بقدر ما اعتبرها هفوة خلقت له، كما يقول، أخذا وردا مع المتابعين بعدما انطبع به، فيما يراها آخرون بصمة للخراز لا تعبيرا عن وجهه سلبي وحسب.

صناعته محتوى الحلقات تطبعها قوة في قص الوقائع بشكل يتداخل فيه الفكاهي للتخفيف عن المشاهد من ثقل الجريمة وغناها، إلى جانب الصرامة في التعامل مع المعطيات كي لا يتسرب إليها حشو لا طائل من ورائه. وبطريقته البسيطة وأسلوبه المتميز نال إعجاب فئة واسعة من المتابعين، لهذا لا تبدو مسالة التواصل الجيد عنده مكتسبة أو عن سابق دراسة وتحصيل، وإنما هي، كما يقول، موهبة صقلها بالاحتكاك اليومي بقضايا التحقيق طيلة عقود.

يعترف الخراز بأنه عندما كان يحقق في جرائم سرقة متشابهاة كان يتسائل عن دور الإعلام في توعية المواطن بجبل اللصوص وطرق اشتغالهم، فأصبح حاجسه توعية الناس بتلك الأفعال حتى لا يكونوا ضحايا محتملين مستقبلا.

الخبر الأمني لا يسرد الوقائع كي يتعاطف المشاهدون مع المجرمين في بعض الحالات، إلا أن هناك ضحايا وجدوا أنفسهم، صدفة أو بكثير من سوء الحظ، منخرطين في خيوط جريمة لم يكن لهم أي علاقة بها تفكيراً أو تخطيطاً

تفكيراً وإعداداً وتخطيطاً. وبالتالي فإن سرده مثل تلك الجرائم يهدف من ورائه إلى توعية المواطن البسيط كي لا يقع في نفس المصير، وهناك من أصبح يعي بشكل جيد المهام الصعبة الواقعة على كاهل الشرطة وضباط التحقيق لكشف الجرائم والحفاظ على أمن البلد. وعرض الواقعة بسبقه تحضير جيد مبني على محاضر قانونية لتفاصيل قصص "بوليسية" غريبة أحيانا وقاسية ومعقدة في أحيان أخرى، تمكنت السلطات الأمنية من فك رموزها.

يقول الخراز إن الجريمة التي لا يمكن أن تفيد المشاهد حتى وإن كانت مشوقة لا يمكنه تمييزها، والغاية من كشف بعض تفاصيل اشتغال رجال الأمن في جرائم يعينها هدفها ليس فقط رفع نسبة المشاهدة، بل خلق نوع من الثقة بينه وبين المشاهد لإعطاء مصداقية لما يرويها من قصص جرائم وقعت أثناء عمله أو تلك القضايا التي وقعت خارج نطاق خدمته لكن زملاءه آمنوه بها.

مسرح الجريمة

القاعدة الجماهيرية التي حققها في الأونة الأخيرة شجعت على إنشاء قناة خاصة به على يوتيوب تحمل اسمه، بعد إنهاء علاقته بأحد المواقع الإخبارية التي كان يشتغل معها بعدما اختلف الطرفان بخصوص التعويضات والراتب، حيث اعتبر الخراز أن التعويضات التي كان يتقاضاها تبقى هزيلة جدا، مقارنة مع حجم الأرباح التي ساهم في تحقيقها. توقفت البرنامج التلفزيوني "مسرح الجريمة" في العام 2015 كان قرارا خاطئا حسب الخراز، على اعتبار أن

الأيام على متابعة دراستهم في جو سليم ووضع سد منيع بينهم وبين الانحراف والجريمة، وعرض الجمعية حماية الأيتام والوقوف إلى جانبهم وتهئية دار اليتيم للإقامة وتقديم مساعدات مادية ومعنوية في إطار قانوني خدمة لهؤلاء الأطفال الأيتام وتحصينا لهم من الضياع. الخراز متابع جيد لخيوط الجريمة ودوافع المجرم النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان له رأيه في جريمة مروعة اهتز لها المجتمع المغربي قبل شهرين حين تم الاعتداء على قاصر، وقد أكد الخراز حينها أنه لا وجود للجريمة كاملة، ولهذا لم ينتبه قاتل القاصر إلى الكاميرا التي التقطته مع ضحيته، وهذا، كما قال "خطأ وحيد لولا ما تمكنت المصالح الأمنية من كشف القاتل". وحتى طريقة ارتداء المجرم لملايسه كانت مدروسة، لكسب ثقة ضحيته، ما يظهر تمكن القاتل من جريمة التي خطط لها بدقة، عن طريق تغيير شكله.

بعمق الثامنة والستين لا يزال ابن مدينة القنيطرة قرب العاصمة الرباط، متحمسا لمشاركة خبرة مساره المهني مع الناس، واستطاع استثمار تجربته في الميدان ومساهمته في فك الغاز مجموعة من الجرائم وإلقاء القبض على عدد من المجرمين، فعمل محلا آمنا في عدد من البرامج الإخبارية والتوثيقية كبرنامج "أخطر المجرمين" على القناة الثانية المغربية.

تمت استشارته في بعض الأفلام والمسلسلات التي تتطرق إلى كيفية التعامل مع الجرائم والتحقيق فيها، وفي نظره لم نصل بعد في المغرب إلى صناعة الفيلم البوليسي الأصلي، فغالبية الأعمال منقولة عن أفلام أجنبية، وهو يعترف بأن مجال التحقيق الأمني في الجرائم قد تشوبه الهفوات القانونية.

بين الواقع والتمثيل

أسلوبه القريب إلى وعي وفهم الإنسان البسيط الشعبي حقق الخراز بواسطته نجاحا، يعلق البعض زاعما أن تلك الوقائع التي يرويها الرجل لا علاقة لها بالواقع، لكنه لا يلتفت إلى تلك الملاحظات والانتقادات بل يضعها في خانة أعداء النجاح، معلنا أن هدفه تقديم مادة تفيد المشاهد وحسب.

الخبر الأمني لا يسرد الوقائع كي يتعاطف المشاهدون مع المجرمين، لكن بعض الضحايا وجدوا أنفسهم، صدفة أو بكثير من سوء الحظ، منخرطين في خيوط جريمة لم يكن لهم علاقة بها

مشاهدات إحدى حلقاته إلى أكثر من مليوني مشاهدة في أقل من أسبوع، كما حظيت حلقات أخرى بانتشار كبير بين المشاهدين.

لقد حقق الخراز، على ما يبدو، حلمه بالظهور على الشاشة، وهو حلم ظل يرافقه طيلة سنوات، منذ أن التحق بصفوف الجيش المغربي، في إطار التجنيد الإجباري، ليواصل بعدها حصد الخبرات والتجارب في سلك الشرطة، متنقلا بين مختلف الأقسام والتخصصات.

ميزان الجريمة والأمن

كلما ارتفع منسوب الجريمة في البلاد تطرح تساؤلات جديدة بخصوص المنظومة الرديئة داخل المؤسسات السجنية والتشريعات المرافقة، وتؤكد الفعاليات الحقوقية والمدنية والسياسية على ضرورة تشديد العقوبات ضد المجرمين الذين ثبت تورطهم في ترويع أمن وطمأنينة المواطن بارتكاب جرائم القتل والاعتصاب.

أما الخراز فيرى أن السجن أضحى مدرسة لتكوين المجرمين عوض تهذيب سلوكهم وتأهيلهم للعودة إلى المجتمع، وهو يطالب، كرجل أمن سابق، بتنشيط قطاعات إنتاجية معينة ليعمل بها السجناء بدل الراحة التي يعيشونها حاليا.

في حياته المهنية الطويلة، مرت بين يديه ملفات كان ضحاياها أطفال شوارع وأيتام، لذلك يحمل على كاهله اليوم مسؤولية لفت الأنظار إلى ضرورة رعاية تلك الفئة من أبناء المجتمع، ولهذا دخل عالم المجتمع المدني كممثل قانوني للجمعية الخيرية للتكافل الاجتماعي ورعاية اليتيم، وذلك من أجل مساعدة



● الهدف الأسمى للخراز هو تحقيق الانسجام مع دولة الحق من خلال توعية المشاهد وإشعاره بضرورة الالتزام بالقانون.